مشعره ١١ لعرمته والتشكيك الذكر

ما الفيل له ذنب وزغيل • ومشفر طويل • فان ذلك من خلق ربنا القليل ثانيها
انه مع كونه من جنس كلام العرب • خارج عن سائر فنونه من النظم والسجع والخطبة
والشعر ونحوها فتحير عقولهم حتى لم يهتدوا الى مثل شي منه اذ لا مثال لهم يعول
عليه • ولا امام يرجع عند الاشتباه اليه • ولقد رام قوم من المتاخرين
انفتت اليهم فصاحة وفيهم شيئا من محاكاته فاعترتهم هيبة فقطعتهم عن ذلك
ومنهم من فصل كلاما وجعله سورا فسمع صبيا يقرا وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر فتاب ومحى ما عمل ثالثها
تاثيره في النفوس والقلوب بحيث تجد من اللذة والحلاوة عند سماعه ما لا
تجد عند سماع غيره ومن ثم كان قاريه وسامعه لا يمله بل كلما زاد تكريره
زادت حلاوته • ولا تضعف طلاوته • رابعها ما فيه من الاحاطة بعلوم
الاولين والاخرين ما فرطنا في الكتاب من شي ومن الاخبار بالمغيبات مما كان
ويكون فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ولن يتمنوه ابدا فما فعل مخلوق ولا تمنى ... مثله
الموت يهودي وهذه ايضا من اظهر المعجزات قال بعض المحققين اعجازه
من وجهين اما لانه من حيث لفظه ومعناه المخصوص اذ ما يليق الا
علي هيئة مما يتعاطاه البشر اذ لا يصح ان يقال له رسالة ولا خطابة ولا
شعر ولا سجع وفنون كلام العرب لا تخرج عن ذلك واما الصرف للناس
عن معارضته والاعجاز في هذا ظاهر ايضا اذا اعتبر وذلك انه ما من صناعة
محمودة او مذمومة الا وبينها وبين قوم مناسبة خفية واتفاق جبلي لنوعه
ولهذا تجد هذا يؤثر حرفة لانشراح صدره لها وذاك يكرهها ويشرح لحرفة
اخرى وهكذا فلما دعا الله اهل البطالة الذين يهيمون في كل واد من المعاني
بسلاطة لسانهم الى معارضة القران فعجزوا عن الاتيان بمثله ولم يتصدوا

لمعارضته

١٤٦

لمعارضته • لم يخف علي اولي الالباب ان صارفا الاهيا صرفهم عن ذلك • واي اعجاز
ابلغ من ذلك انتهى ملخصا وحاول بذلك توجيه القول بالصرفة مع انه
للنظام من المعتزلة لكن افسدوه بان قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن
الاية فيه دليل ظاهر علي عجزهم مع بقا قدرتهم ولو سلبوا القدرة لم تبق فايدة
لاجتماعهم لانه حينئذ بمنزلة اجتماع الموتى وليس اجتماع الموتى مما يحتفل بذكره
هذا مع ان الاجماع منعقد على ان اضافة الاعجاز الى القران والقول بالصرفة
يلزمه اضافته الى الله تعالى لا الى القران وحينئذ يلزمه زوال الاعجاز بزوال
زمان التحدي وفيه خرق لاجماع الامة ان معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم
العظمى باقية ولا معجزة له باقية اظهر من القران ويلزم مدعي الصرفة ايضا لانه ... الايه
لا فضيلة للقران على غيره فان قلت القول بعجزهم مع بقا قدرتهم فيه
الجمع بين النقيضين وهو محال قلت محال ومعنى قدرتهم ان هممهم
توجهت الى المحاكاة لظنها القدرة عليها فعجزت وعلى القول بالصرفة لم
يتوجهوا لمعارضته اصلا لقطعهم من نفوسهم بعجزها وانه لا قدرة لها عليها
البتة فان قلت توجه هممهم اليها مع العجز عنها في نفس الامر لا يسمى قدرة
قلت ممنوع بل تسمى قدرة باعتبار العرف وقطع النظر عن الغايات ولا شك
ان اهل فن البلاغة لا يقطعون بسلب القدرة عن المحاكاة ابتدا بل بعد الاختبار
فتامله لتعلم سقوط ما قيل كيف يخاطبون بالتحدي مع القطع بعجزهم عنه
• ونظير ذلك خطاب من علم الله منه عدم الايمان بالايمان كابي جهل وابي لهب
نظرا لقدرتهما عليه باعتبار الظاهر واعراضا عن النظر للغايات والعواقب •
ومن المفاسد ايضا قول فريق ضلال ان الكل قادرون على الاتيان بمثله وانما
تاخروا عنه لعدم العلم بوجه ترتيب لو تعلموه لوصلوا اليه به والحق ان العجز